ان نضال المرأة ضد سلطة الاستغلال

للعمل خارج البيت وداخله رغم تحررها الاقتصادي الذي لم يغير كثيرا من واقعها الدوني في المجتمع .

وباختصار لقد افرغت البورجوازية المرأة من انسانيتها وحولتها الى شيء او اداة ، فهي تارة اعلان واجساد عارية في الافلام وفوق المجلات المصورة وتارة اخرى اداة امتاع وسلعة تباع في سوق البغاء الملازم للرأسمالية .

ومهما تبجحت بعض الدول الرأسمالية المتقدمة بمساواة المرأة بالرجل في مجتمعها فان التمايز بين دور المرأة والرجل ما زال احدى سماتها ويظهر هذا التمايز في الناحية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية حيث لم تتبوأ المرأة في هذه المجتمعات مراكز عالية في احدى هذه المجالات . بالاضافة الى ان القوى العاملة النسائية فيها لا تشكل جزءا كبيرا من القوى الموجودة .

ومما تقدم يتضح لنا ان المجتمعات المتخلفة والرأسمالية بنظمها وقوانينها ومؤثراتها وضغوطها تكبت المرأة فيعوق هذا الكبت نموها الفكري والنفسي ويحول دون تحررها من السلبية والاعتماد على الاخرين وتظل كالطفل في مراحله الاولى من النمو عاجزة عن الاستقلال والايجابية وحرية الفعل .

وامام هذه الضغوطات اضطرت المرأة لالغاء نفسها امام الرجل وتخلصت من شخصيتها لتحصل على الخضوع والطاعة ولتحصل معها على الحماية والامن ورضا الرجل والمجتمع .

انها تدعي البلاهة والغباء احيانا لتصدق اكاذيبه وتفاهات غروره لكي ترضي غروره وتوهمه انه الرجل الوحيد على الارض .

وبهذه الاساليب اصبحت المرأة ذاتها تتخلى عن قيمة نفسها كانسانة وعن صدق مشاعرها لتضمن الشرف الاجتماعي الظاهري ، وتعلمت المرأة الزيف وعرفت كيف تعامل المجتمع كما يعاملها ، تعلمت كيف ترضي الرجل وتمارس معه الجنس دون ان تفقد عذريتها وان فقدتها فتعالجها بطرق وأساليب ابتكرتها من خبرتها وخبرة غيرها ، تعلمت كيف تبيع نفسها بعقد الزواج وتكبت حبها الحقيقي الى الابد او تمارسه في الخفاء . تعلمت المكر والدهاء والرياء تعلمت كيف تنتقم من مذليها حتى ولو كان انتقامها احيانا من نفسها . تعلمت الحقد والكراهية . هذه الاشياء مجتمعة شوهت حقيقة المرأة وكبلت طموحاتها وفعاليتها في المجتمع .

المرأة في المجتمع الاشتراكي

اذا كان هذا هو واقع المرأة في المجتمعات المتخلفة والرأسمالية التي تقوم على اساس استغلال الانسان لاخيه الانسان ، فما هو وضع المرأة في المجتمع الاشتراكي ؟

ان العرض التاريخي الذي قدمناه في بداية الموضوع لتبيان السبب الحقيقي الكامن وراء اضطهاد المرأة ، اظهر لنا ان السبب الاول والرئيسي لهذه الظاهرة هو بروز الملكية الخاصة ، وتطورها المشروط باستغلال واضطهاد الطبقات الدنيا في المجتمع ومنها المرأة .

وبما ان المجتمع الاشتراكي يقضي على الملكية الخاصة اي الملكية الفردية ليحل محلها الملكية الجماعية اي ملكية الدولة ، وبالقضاء على الملكية الخاصة قضي على الاستغلال لذلك انتفت في هذه المجتمعات الاسباب الرئيسية التي جعلت المرأة في منزلة ادنى من منزلة الرجل .

فالمرأة في هذا المجتمع عادت لتأخذ مكانها كانسانة وعاملة تمثل نصف المجتمع وتشارك الرجل بالعمل والانتاج وكل ما يخدم المجتمع ، تتمتع بكافة الحقوق وتبوأت مناصب عالية في كل الميادين سياسية منها ام اقتصادية ام اجتماعية ، وتمتعت المرأة في المجتمع الاشتراكي بحريتها الشخصية جسديا وفكريا ونفسيا لذلك فهي تعيش في مجتمعها تلعب دورها في تطور بلدها ، بعد ان اطلقت طاقاتها وكرستها لخدمة شعبها في جميع الميادين .

ولم تعد المرأة العاملة في هذا المجتمع الاشتراكي وخاصة في الدول المتقدمة منه ، لم تعد تعاني من ازدواجية العمل داخل البيت وخارجه ، لان الدولة امنت لها المغاسل والمطابخ الجماعية ودور الحضانة لاطفالها .. وبما انها تساوت مع الرجل اقتصاديا وسياسيا لذلك فهي بالضرورة تساوت اخلاقيا واصبح العقاب الاخلاقي الذي تناله المرأة هو نفسه الذي يناله الرجل في حال تخطي الحدود الاخلاقية المقررة من قبل المجتمع ، لذلك كان من الطبيعي ، وكنتيجة لاستقلال المرأة الاقتصادي والاجتماعي والسياسي ومساواتها بالرجل ان تنتفي ظاهرة البغاء اي بيع الانسان واحتقاره لقيمة نفسه الانسانية ، حيث ان المرأة تعامل معاملة انسانية بشكل كامل يأخذ بعين الاعتبار كونها اما وعاملة ومفكرة ومبدعة .

والنظام الاشتراكي حين نجح في حل مشكلة المرأة ومكنها من ان تتحرر نهائيا من كافة اشكال الاضطهاد والاستغلال والعبودية سواء كانت اجتماعية او عائلية بمساواتها بالرجل بقانون العمل وقانون الاحوال الشخصية وفتح لها مجالات العمل السياسي والاقتصادي على مصراعيها لتلعب دورها القيادي.

... الحل بتحقيق تحرّرها الكامل

ان المجتمع الاشتراكي ، مجتمع الطبقة العاملة الجديدة ، حين حرر المرأة من قيودها فانه حرر الرجل في الوقت نفسه ، من اعباء اعالتها وهموم المجتمع الرجعي باعتبارها رمز شرفه وكرامته بنظر المجتمع الرأسمالي . وفضلا عن ذلك فان المجتمع الاشتراكي حين حرر المرأة ، لم يبرهن على افضليته وقدرته على ترجمة مفهوم تحرر الانسان من كل انواع الاستغلال والقهر، حسب وانما دلل على انه النظام الاجتماعي البديل لنظام الرأسمالي الذي اصبح مهترئا عاجزا لدرجة سقط فيها وجوده عائقا يعرقل عملية تقدم المجتمع وتطوره .

في الحقيقة ان الاشتراكية برهنت على انها هي الحل الوحيدة القادرة على حل المشكلات التي كان وما زال الانسان الفرد والشعوب تعانيها في ظل النظام الرأسمالي وعلى سبيل المثال فان الرأسمالية وقفت عاجزة امام حل قضية تقرير المصير للشعوب باستثمارها ابرز القضايا القومية التحررية، او قضية توفير فرص العمل لكل انسان والغاء الاستغلال وجعل التقدم التكنيكي وبالتالي الالة اداة لخدمة الانسان عكس الحالة السائدة في البلدان الرأسمالية .

والسؤال الذي يتراءى للاذهان بعد هذا العرض لواقع المرأة في المجتمع المتخلف والرأسمالي، وواقع المرأة النقيض له في المجتمع الاشتراكي ، هو : ما هي الوسائل والاساليب الكفيلة بتحرير المرأة والتي يجب ان تتبعها لفرض مساواتها بالرجل في الواجبات والحقوق، في المجتمع المتخلف والرأسمالي،

ان نضال المرأة ضد سلطة الاستغلال والاضطهاد كفيل بتحقيق ما تصبو اليه ، ولن تستطيع المرأة ان تنعتق من قيودها الاجتماعية وتسلط العائلة ما لم تخرج الى ميادين العمل اولا ، وما لم تنخرط بالعمل السياسي ثانيا .

العمل وضروراته للمرأة والمجتمع

من الشائع ان خروج المرأة الى العمل ارتبط بامكانيات الاهل او الزوج المادية بين الطبقات الدنيا بينما كان بالنسبة للطبقات العليا هروبا من الملل والفراغ الذي يدب في نفس المرأة التي توفرت لها كل امكانيات الراحة من خلال امتلاكها لادوات المطبخ والتنظيف المصنعة الى جانب وجود الخدم .

ان هذين المفهومين اللذين رافقا خروج المرأة للعمل في المجتمع المتخلف والمجتمع الرأسمالي شوها شوها قيمة العمل السامية وضروراته كما شوها دور المرأة فيه .

ولكي نحكم على مدى تقدم اي بلد من البلدان لا بد لنا ان نعرف ما هو دور نصف المجتمع الاخر – اي المرأة – في بنائه ، لان رقي اي بلد وتطوره لا يمكن ان يتم ويكتمل اذا كان نصفه معطلا . وبقدر ما تتمثل المرأة بقطاعاته الانتاجية وتنظيماته النقابية والسياسية نستطيع ان نحكم على مدى تطور هذه البلدان او تقدمها .

ان السلطة المستغلة والرجعية في البلدان المتخلفة والرأسمالية تعي تماما ماذا يعني خروج المرأة للعمل ، انه يعني ان امكانية استغلالها واضطهادها ستضمحل شيئا فشيئا مع نمو وعي طبقات المجتمع المستغلة ونمو وعي المرأة .

ولتتمكن هذه السلطة الرجعية من استغلالها اكثر فاكثر ولتتفادى ازماتها الاقتصادية والسياسية فهي تعمل على عزل المرأة عن الحياة العامة داخل البيت لتنشغل باعمال البيت وتربية الاولاد حتى لا تتمكن من التفرغ للاعمال والتدريبات اللائمة لتنمية قدرتها الاقتصادية والفكرية اول بأول . لذلك يضع المجتمع المتخلف والرأسمالي العراقيل امام المرأة في كل خطوة تتخذها نحو العمل بالاضافة الى هضم حقوقها في العمل وبتر اجرها بحيث يصل الى نصف اجر الرجل عن نفس العمل الذي يقوم به ولكن ذلك يجب ان لا يثبط همة المرأة واصرارها على العمل خارج البيت ، فالبيت كما يفهمه المجتمع الرجعي ، هو مقبرة المرأة وهو ذلها وهوانها وعبوديتها لان البيت معناه ان تحرم من اكتساب خبرات الحياة التي تنضجها وتحقق ذاتها كانسانة ، كما ان البيت معناه ايضا انها لا تعمل ولا تحصل على ايراد وبالتالي فانها تعيش عالة على الرجل ، ولا يمكن للمرأة التي تحتاج الى الاعالة ان تتحرر من علاقتها النفعية بالرجل ولا بد لزواجها منه ان يرتكز على المصلحة الاقتصادية والاجتماعية والحماية والاعالة ، وغير ذلك من الاسباب التي تدرج هذه العلاقة الزوجية ضمن العلاقات التجارية حيث تدرج الدعارة .

وان خروج المرأة الى العمل يزيد في نمو وتطور بلدها الى جانب انه يزيد في تفاقم الازمات الاقتصادية التي تعاني منها البلدان الرأسمالية بشكل خاص من حيث انه يضاعف حجم الطبقة العاملة الامر الذي قد تعجز البلدان الرأسمالية احيانا عن توفير فرص العمل للجميع كما يزيد من عدد العاطلين . مما يجعلها تساهم بشكل غير مباشر بتقليص وشل قدرة السلطة المستغلة على استمرار استغلالها البشع ومن ثم انهائها . هذا بالاضافة الى

« ان العائلة العصرية لا تنطوي على جنين العبودية وحسب ، بل ايضا على جنين القنانة ... وهي تنطوي بشكل مصغر على جميع التناقضات التي تطورت فيما بعد على نطاق واسع في المجتمع والدولة ... فلاجل ضمان امانة المرأة ، وبالتالي لاجل ابوة الاولاد ، توضع الزوجة تحت سلطة زوجها المطلقة ، فاذا قتلها ، فانه لا يفعل غير ان يمارس حقه » .

كارل ماركس